الجيش الغرناطي عصر بني الأحمر (627–897ه/1232–1492م)

الأستاذ الدكتور/ بوشنافي محمد
جامعة سيدي بلعباس.
الجزائر.
bouchenafi22@gmail.com

الطالبة/ بكارة حنان
مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر المتوسط – جامعة سيدي بلعباس.
الجزائر.
hananebekkara@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019-06-29 تاريخ القبول: 2019-10-11 تاريخ النشر: 2019-12-25

Abstract :

The army is one of the sensitive organs in the state. Which must be taken care of, and the state of beni al_ahmer in Granada has paid great attention to the army ; and brought the finest soldiers and completed the number of people who collected many races and provided them with material and moral support as their ranks and teams to carry out the holy War especially since it the last bastion of muslims in Andalous and as the topic has importance we saw it heighlighted in this article.

ملخص

يعد جهاز الجيش من الأجهزة الحساسة في الدولة و التي وجب الاهتمام بها، ودولة بني الأحمر في غرناطة قد أولت إهتماماً كبيراً بالجيش فاستقدمت خيرة الجنود و استكثرت من عددهم الذي جمع العديد من الأجناس و وفرت لهم الدعم المادي و المعنوي ،كما رتبت صفوفهم و فرقهم من أجل القيام بعملية الجهاد خاصة و أنها آخر معقل للمسلمين في الأندلس ولما كان للموضوع أهمية ارتأينا تسليط الضوء عليه في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: الجيش– التركيبة المكونة للجيش– شيوخ الغزاة– تقسيم الجيش– رواتب الجيش.

تمهيد:

لما كان الجهاد لزاماً على الشعوب للذود عن أوطانها، ومشـــروعية الجهـــاد أقرهـــا الإسلام باعتبار أن القضية هي مسألة الدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد النصارى الطامعين في التوسع، فتكون الصلبان محل النواقيس، وفعلاً ما حدث في الأندلس بعد حـــروب الاســـترداد جعل المسلمون يفرون بحياتهم نحو المناطق الأكثر أماناً، وكانت غرناطة آخر معقل حمل علـــى عاتقه حماية المهاجرين من بني جلدتهم، وبهذا تكون مسرحاً للحروب خاصـــة وأن أشـــرنا أن المسألة لم تكن منوطة باسترداد المدن وضمها فقط؛ بل تجاوزت تلك الفكرة فالهدف أمـــامهم طمس الدين والهوية، تحت تأثير الكنيسة والآراء البابوية المساندة مادياً ومعنوياً وهـــذا لـــيس بالجديد فمنذ الأمد استغلت الكنيسة الداعي السياسي وربطه بالديني تحت إيديولوجية الإبـــادة الكلية للإسلام والمسلمين.ثم إن جغرافية مملكة غرناطة وإحاطتها من أعدائها قشتالة والأرغون والبرتغال المتحالفين ضدها جعلها بؤرة جهاد، فوجب عليها تنظيم قوة رادعة لحماية حدودها ورعيتها، وجهاز الجيش وجب لزاماً تنظيمه وتزويده بكل ما تتطلب إليه الظروف من تركيبة مكونة لعناصره ومن فرق مصنفة ومؤهلة لخوض الحروب، ثم على الدولة إنشاء إدارة عاملـــة لخدمة مصالحهم من ديوان للجند ودفع الرواتب والمستحقات، وبهذا تضمن الدولة حصـــانتها ضد كل خطر خارجي و أهبةً في الدفاع في أي زمان ومكان.

1-التركيبة العرقية للجيش:

بعد سقوط المدن الأندلسية أثناء حملة الاسترداد التي شنتها الممالك النصرانية بـــدأت حملة التهجير الواسعة لمسلمي الأندلس نحو مناطق أكثر أماناً، وكانت غرناطة هـــي ملاذهـــم الوحيد وقبلتهم المختارة، فتنوعت التركيبة البشرية المكونة للمجتمع الغرناطي، ومما ساعد أكثر

دولة غرناطة على الصمود هو الاستفادة من خبرات اللاجئين خاصة في المجـــال الحـــربي، ولا ننسى أن الأندلس منذ القدم كانت مسرحاً للحروب، وفي مايلي سنستعرض أهم التركيبـــات العرقية التي تشكل منها الجيش النصري .

أ/العنصر الأندلسي:

ونقصد بهم القوات الغرناطية من فرسان ومشاة بقيادة أمير من أمراء الدولة أو قائـــد من قوادها الأفذاذ، وقد لعبت أسرة بني الأشقيلولة الدور الرئيسي في محطة الدولة الأولى مـــن التأسيس، وهم من فئة المولدون أي السكان الأصليين للأندلس الذين اعتنقوا الإسلام بعد الفتح العربي للأندلس[1] وأهم هؤلاء:أبو الحسن بن أشقيلولة الأول(علي بن محمد التجـــيبي)، مـــن الرجال البارزين على ابن هود، ولما تقلد محمد بن الأحمر الحكم في غرناطة أقطعه منطقة وادي آش [2] ثم أبو محمد الأول بن أشقيلولة الملقب بالرئيس وهو عبد الله بن علي بن محمـــد ممـــن جاهدوا في الأندلس تسلم إدارة وادي آش ثم مالقة [3] ثم حكم أبو إســـحاق بـــن أشـــقيلولة (إبراهيم بن علي بن محمد) الذي تقلد إدارة مدينة قمارش و وادي آش وبتولي أبو محمد بـــن أشقيلولة صاحب مالقة الحكم فيها إلا وظهر الصراع خصوصاً وربط ولاءه مع السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق الذي تنازل له عن مالقة، ثم أن بنو أشقيلولة قد تحالفوا مع مملكة قشتالة ضد غرناطة الأمر الذي استنكره محمد الفقيه فأرسل بحملة عسكرية لاسترجاع قمارش، وبعد مدة عقد الفقيه الصلح مع قشتالة فخاف بنو أشقيلولة من ذلك، فأعلنوا طاعتهم لبني مـــرين، وقد قام الفقيه بإرسال رسل إلى سلطان بني مرين قصد التجافي عن وادي آش فكان له ذلـــك وخرجوا منها متجهين إلى المغرب ليستقروا بها. [4]

ب/العنصر البربري:

بدأ العنصر البربري بالتوافد على مملكة غرناطة من المغرب، وقد زاد تدفق هؤلاء البرابرة على مر الأيام خاصة على القواعد الجنوبية في عهد دولتي المرابطين والموحدين[5] وقد أثبت هؤلاء الزناتيون فعاليتهم في ميادين القتال حيث كانوا أسوداً ضارية، وسيوفاً ماضية معودين لقاء الأبطال وقراع الحتوف والنزال، فعظمت نكايتهم في العدو و اعترضوا شجى في صدره دون الوطن الذي كان طعمة له في ظنه، وارتدوا على عقبه، ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين من وراء البحر.[6] وقد تكونت نواة ثانية في جيش ابن الأحمر الذي استغل دفعات الزناتيين القادمين من المغرب و إعطائهم قيادة المجاهدين بدلاً من الخارجين عليه من بني أشقيلولة، وقد أثبت هؤلاء القادة والعناصر جدارتهم وفعاليتهم في الأعمال الجهادية ضد النصارى في كثير من المناسبات. [7] وقد أنشئت مشيخة الغزاة من المبعدين والمتطوعين المغاربة كوسيلة لإبعاد بني أشقيلولة الذي كانت لهم مهمة قيادة الجيش الأندلسي والمجاهدين، وأمام الخلافات التي حدثت بينهم وبين سلطان بني الأحمر ومحاولتهم الاستقلال بمدنهم بعد إخلاف محمد بن الأحمر لوعده بمقاسمتهم الملك. [8] بالإضافة إلى البربر المتطوعة من جبل وادراس المقيمين بين سبته وتطوان والذين انظموا إلى جيوش غرناطة وجاهدوا حق الجهاد [9]

ج- العناصر الأجنبية:

نقصد بها المرتزقة من المماليك والأغزاز وهم عناصر نصرانية أو يهودية استخدمها النصريون في الحروب إلى جانبهم، وقد أحاط سلاطين غرناطة أنفسهم بحرس من المسيحيين مثال ذلك محمد الخامس الغني بالله، الذي تبعه حرسه من المماليك في ملجئه في بلاد المغرب وأظهروا له هناك الولاء بلا حدود، ويذكر "hemando de baeza"كاتب الملكيين

الكاثوليكيين، الذي كان يعرف اللغة العربية، وقضى وقتاً طويلاً من حياته في غرناطة، أن سلاطينها قد اتخذوا في أحايين كثيرة حرساً مسيحياً في النصف الثاني من القرن الخامس عشر (9ه). [10] وممن اشتهر من المماليك صابر وهو الذي قام بإدخال محمد الأول إلى غرناطة بعدما توفي خارج المدينة إثر نوبةٍ حادة [11] وعندما خلع محمد الخامس وانتقل إلى المغرب رافقه مائتا من المماليك وسهروا على سلامته وعندما تولى الحكم من جديد زاد في عددهم. [12] أما الأغزاز فقد عرفوا منذ عهد الموحدين الذين استمالوهم واصطنعوا عدداً كبيراً من الجنود الغز الذين قدموا من مصر إلى المغرب بقيادة الأمير قراقوش التقوى على عهد صلاح الدين الأيوبي، ثم أرسلوا بعضهم إلى الأندلس برسم الجهاد[13].

2-فرق الجيش:

سبق وأن تطرقنا إلى التركيبة المكونة للجيش المختلفة، تباينت تقسيمات الجيش قبل المعركة من دولة إلى أخرى حسب ما تقتضيه خطة الهجوم سواءاً أم العناصر المكونة للجيش تارةً.

فمثال الجيش كالجسد: فالرماة هم اليدان والفرسان هم الرجلان للخفة والانتقال والرأس والأكتاف والجسد فهو التدبير...وقسم بعض العارفين الجيش على ثلاثة أقسام: القسم الأول هو الأصل الجيد، والحسب، والقسم الثاني العرف بالحروب، والقسم الثالث الامتحان والتجريب، فأما الأصل الجيد والحسب فمن أجل ذلك يكون المجاهد شجاعاً قوياً، وأما العارفين بالحروب فيكون بذلك المجاهد عارفاً ومستحضرا للشدائد والرحا والامتحان والتجريب فيكون بذلك المجاهد شجاعاً ثابتاً في جميع الأوقات وإذا اجتمعت في إنسان هذه الخصال المحمودة فيكون الجندي يرعى ما لزمه من العمل. [14]

اهتم ملوك بني الأحمر بالقوة الحربية وأولت لها اهتماماً كبيراً باعتبارها عنصراً فعالاً لحماية حدودها من النصارى، وقد اختلفت تشكيلة العناصر القتالية في الجيش، وتباينت أدوارها على اختلاف الأجناس، ومما أسهم في قوته المهاجرين الوافدين من المدن الساقطة بأيدي النصارى أثناء حملة الاسترداد والذين أكسبتهم الحروب خبرةً في المجال الحربي، ولا ننسى فئة المغاربة اللاجئين من المغرب إلى غرناطة بعد الخلاف مع أمراءهم من بني مرين ليختاروا الالتحاق بالجيش الغرناطي قصد الجهاد وقد شكلوا أهم نواة في تركيبة الجيش وقد أسند إليهم منصب "شيوخ الغزاة" أو رئيس الجند وقد ظهر على بلاط بني الأحمر لأول مرة شيخهم "أبا زكريا يحي بن عمر بن رحو بن عبد الحق وذلك في عهد السلطان محمد بن الأحمر (670ه/1272م) [15]. والتي سيأتي التفصيل في أدوارهم فيما يأتي، على العموم فإن فرق الجيش قد ضمت ماهو نظامي وغير نظامي والذي ضمن تركيبة مختلفة:

أ/ الجيش النظامي:

أ-القوات الغرناطية: يذكر ابن الخطيب في الإحاطة أن الجند الغرناطي قد ضم الأندلسيين الذين يقودهم رئيس من القرابة أو أحضاء الدولة وزيهم في القديم شبيه بزي جيرانهم وأمثالهم من الروم في إسباغ الدروع، وتعليق الترسة و جفاء البيضات، واتخاذ عراض الأسنة وبشاعة قرابيس السروج، واستركاب جملة من الرايات خلفهم كل منهم بسمةٍ تخصّ سلاحه، وشهرةٍ يعرف بها، ثم عدلوا الآن عن هذا الزي إلى الجواشن المختصرة، والبيضات المرهفة والسروج العربية و اليلب اللمطية والأسل اللطيفة. [16]

وقد كان الفضل في تأسيس النواة الأولى للجيش النصري بقيادة السلطان محمد بن يوسف بن الأحمر لما كان أميراً على أرجونة، لأصهاره من بني الأشقيلولة، على رأسهم أبي

الحسن علي، وقد تسلم بنفسه قيادة رجاله إلى أن تم دخول مدينة غرناطة، فقد كان قائداً للجيش، وفيما جرت العادة أن يتسلم أمر الجند قائد من الأسرة المالكة أو من الشخصيات البارزة في الدولة. [17] بالإضافة إلى أسرتين من الأسر الأندلسية العريقة وهم بنو صناديد من جيان، وبني المولى من قرطبة وهم نواة الجيش الأولى أيضاً وممن ساهموا في تكوينه و الجهاد في صفوف بني نصر[18]

ب/ شيوخ الغزاة : وهم ثاني نواة مكونة للجيش النصري بل و أهمها لما أدته من أدوار هامة في الجهاد ضد النصارى، وهم بربر منهم من ترجع قبائله المرينية والزيانية والتجانية والعجيسية والعرب والمغربية إلى أقطاب ورؤوس، يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤساءهم و قطب لعرفائهم من كبار القبائل المرينية، يمت إلى ملك المغرب بنسب[19] تزايد عدد المتطوعين القادمين من المغرب مع إنشاء دولة بني مرين، هذه الدولة التي عرفت في بدايتها نزاعاً بين قسمين الرئيسيين: بني عسكر، وبني حمامة للفوز بالسيادة ،ورغم استئثار بني حمامة بالسلطة إلاّ أنّ بني عسكر حافظوا على جانب كبير من القوة داخل الدولة لذا كان إبعادهم حلاً للحفاظ على السلطة، وكانت الأندلس هي المكان المناسب لذلك، والجهاد هو حجّة هذا الإبعاد. [20] وعقب انتصار المسلمين على النصارى في موقعة الصخرة استقر الاتفاق بين سلطان بني نصر وسلطان المرينيين على أن تقيم في أراضي غرناطة قوة دائمة من المقاتلين المرينيين للاشتراك في الجهاد، وفي سبيل ذلك تنازلت مملكة غرناطة لأولئك المجاهدين (الغزاة) عن الجزيرة الخضراء ومالقة وبعض المراكز الأخرى لكي تكون معابر ومراكز لهم في الأندلس، لكي يستطيعوا مواصلة عملهم ،[21] وقد تعاقب المغاربة على منصب شيخ الغزاة وأول من تولى المنصب قرابة السلطان يعقوب بن عبد الحق من أولاد رحّو بن عبد الله بن عبد الحق وإدريس بن عبد الحق ...ومن أولاد أبي

عباد بن عبد الحق لما أوجسوا الخيفة من السلطان واستشعروا النكير منه كما سبق وذكرنا، فلحقوا للأندلس للجهاد، ومنهم أولاد وسناف وأولاد نزّول وأولاد تاشفين بن معطي كبير بني تيربيغن من بني محمد وتبعهم أولاد محلى أخوال السلطان أبي يوسف، وكان ابن الأحمر كثيراً ما يعقد لهم على الغزاة المجاهدين من زناتة لدار الحرب، ثم انتقلت الرئاسة من بني حمو بن عبد الحق إلى إخوانهم من بني أبي العلاء وغيرهم. [22] وقد كان على رأس بني العلاء "عثمان بن أبي العلا إدريس بن عبد الله الشخصية الدارية بفنون الحرب من خلال تجاربه العديدة في ميادين القتال. وفي سنة 1307م.وبالضبط في شمال المغرب أعلن عثمان بن أبي العلا عدم خضوعه لبني مرين شاقاً عصا الطاعة، وقد استطاع أن يكسب ود القبائل للقيام بثورة ضد بني عمومته المرينيين للظفر بالعرش المغربي؛ فزحف نحو الجنوب أين العاصمة فاس واستولى على العديد من الحصون في طريقه، داعياً لنفسه وقد انتهز فرصة مصرع السلطان أبي يعقوب المريني عام 706ه/1307م، ونشوب حرب أهلية بين ولديه :أبو ثابت، وأبو سالم لينتهي بمقتل أبو ثابت و اعتلاء أبو سالم العرش ،لكن طموحات عثمان بن أبي العلا سرعان ما فشلت أمام هزيمته عام 707ه/1309م، أمام جيش سليمان بن أبي الربيع المريني ليضطر إلى الفرار مع أسرته إلى الأندلس واستقر بغرناطة أيام حكم السلطان "نصر أبو الجيوش"، فولي قيادة الجيوش و حقق النصر في العديد من المعارك وهذا ما دعّم مركزه وجعل السلطان أبو الجيوش يرفض تسليمه للسلطان أبي سعيد المريني بفاس والذي هدده الأخير بالمقابل بقطع المؤونة عن الأندلس،لكن بمجرد تولي السلطان محمد بن أبي الوليد إسماعيل الحكم 752ه/1352م تمادى هؤلاء الغزاة بأن اعتصموا بثغر ألمرية بعد مناوشات مع السلطان وقد ساعدهم في ذلك عمه الثائر عليه للظفر بكرسي الحكم واستمالهم بالوعود، وقد استغل هذه الفوضى ملك قشتالة للحصول على

عدة حصون وبعد صفاء الجو مع سلطة فاس تكرر مطلب تسليم أبو العلاء وهو ما شكل هاجس خوف له فدبر مكيدة لقتل السلطان من طرف أحد غلمانه[23] ، على العموم فإن شيوخ الغزاة بالرغم من جهودهم و تقديمهم الكثير إلى جانب الجيش النصري وباعتبارهم النواة الأساسية فيه إلا أنهم تمادوا وعصوا حكامهم وتمردوا الأمر الذي جعل السلطان محمد الخامس الغني بالله يقوم بإلغاء منصب شيخ الغزاة من الجيش.

ج-المماليك: وهم جنودٌ من أصل مسيحي، كانوا يعملون كحرس خاص للسلطان يسميهم ابن الخطيب مماليك، بينما يسميهم ابن خلدون معلوجين [24]، وقد كانوا على أيام السلطان محمد الخامس فقد تطوعوا لحمايته بعد دخولهم الإسلام ،وقد رافقوه إلى المغرب بعد خلعه. [25]

د- الأغزاز:الأتراك، استمر ملوك غرناطة على عادة استخدام رماة الغز الأتراك في جيوشهم كما فعل الموحدون من قبل وفي ذلك يقول ابن الخطيب:

ودارت من الأغزاز تحت لوائها رماةٌ على أوتارها للعدا وترُ
إذا اضطبنوا أقواسهم و تمنطقوا فتُبصرُ جيش الترك جاشت مُضرُ [26]

2-الغير نظامي:

أ- الخطباء و الشعراء و الوعاظ: لقد لعب الدعم النفسي جانباً مهماً في حياة الحروب والتأثير على نفسية الجندي قبل الخوض في المعركة ،فكان الشعراء و الوعاظ و الخطباء يبثون الطاقة الإيجابية في الأرجاء عبر أشعارهم وخطبهم لضرورة الجهاد و وصف الفرسان وأسلحتهم وصفاً جميلاً، و لم يتخل بنو الأحمر عن هذه العادة القديمة محمسين فرسانهم ،فكانت هذه الفئة تقص عليهم أخبار البطولات الخارقة التي قام بها السلف في جهادهم المقدس [27] فلا ننسى مواقف الشاعر ابن الخطيب أو الشاعر ابن فركون و ابن زمرك وغيرهم الذين لازموا

سلاطينهم وجيوشهم في الحروب داعمين لهم وحتى في بعض الأحيان مشاركين، هذا وإن دلّ على أن روح الجهاد مسّت جميع الفئات في المجتمع النصري.

ب– الجواسيس: وهم بمثابة العيون المترصدة لحركة العدو فوجب الإكثار منهم ،وإن أمكن أن لايكونوا إلاّ كفاراً فهو أولى مثل تجار اليهود ومسافري النصارى لأنها مرتبة غدرٍ لا عزّ فيها فينبغي أن يُصان المسلمون عنها،ولكن يجري عليهم أرزاقاً يَغنَون بها عن التصرف للمعاش في غير ذلك الطريق، ولا يسقط عنهم الجزية ،ويستظهر في معرفة صدقهم من كذبهم بأن يكونوا جماعة كبيرة لا يعرف بعضهم بعضاً. [28] قالوا:احكم أمر جواسيسك فإنه رأس أمر الحرب،و تدبير مكايدة العدو واعلم أنه إن ظفر عدوّك بأحدهم فعاقبه دعاه ذلك وغيره إلى أن يأتوك بالأخبار من غير أصولها وعلى غير حقائقها ،فتوقّ ذلك عليهم جهدك،إلى أن يأتوك بالأخبار من غير أصولها و على غير حقائقها،لتكن عيونك و جواسيسك ممن تثق بصدقه و نصيحته، فإن الظنين لا ينفعك خبره وإن كان صادقاً المهم غير عليك لا لك [29] نجد أنه عند حملة خايمي الثاني على ألمرية قام مسيحي يدعى: bartolomé de bielsa بمساعدة المسلمين على استرداد المدينة ،كذلك فإن السلطان أبا يوسف المريني قد استخدم في حروبه في الأندلس عيوناً من اليهود والمعاهدين النصارى يتعرفون له أخبار الطاغية شانجه، وفي معركة طريف رصد المسلمون "العسس" للتجسس على الأعداء كذلك يذكر ابن الخطيب على لسان سلطانه محمد الخامس "ثم تعرفنا أن العدو إنما يقصد الجزيرة لمباشرة أمورها وكتب إلينا بعض ناسه أنه إنما يقصد رندة أو جبل الفتح و لم تقدم عملاً على توجيه مدد الرماة والفرسان. [30]

ج–الأدلاء: وهم في الغالب سكان المناطق الحدودية ذوي الخبرة بمسالك البلاد [31] ، وهم الذين يقودون الجيش وكان يجب أن يكونوا على معرفة كبيرة بالإقليم و الطرق والأرض، التي

كانت هدفاً للحملات، وأن يكونوا من أصحاب الثقة المطلقة لدى السلطات [32] فوجب الإكثار منهم في الثغور ولابد أن يكونوا مسلمين ولابد أن يكونوا مكرّمين لأنهم يشاورون في العظائم، وينبغي أن تجرى عليهم الأرزاق الواسعة، ولابد لهم الإجابة لدعاء الحضور متى دعوا على وجه السرعة ومن قصّر في استجادة الفرس والسلاح حرمه عطاءه. [33]

د–المتطوعة: عمد في الفترة الأخيرة من العهد النصري رؤساء الجند لما اشتد الضغط على مملكتهم ولما كثر الحصار على المدن ،على إنشاء فرق صغيرة أو عصابات لها تنظيمها الخاص وهي شبه مستقلة عن الجيش النظامي، فتقوم بالتسلل إلى معسكرات العدو وتقتحم خيام قادة الفرق وتغزو مرابط الخيول وتفسد المؤن وتنهب الذخيرة وتحرق المعسكرات وتنصب الكمائن[34]، بالإضافة إلى فئة الأطباء وأهل صناعة الجبر والبناءون والنجاجرة لآلات القتال وفتح الحصون وتسهيل الطرق للعسكر و الحدادون للسلاح من السيوف و التّراس و المطارد والقسّي والنّبل وغير ذلك مما يحتاج و يفتقر إليه. [35] وقد قسم الجيش إلى فرق مختلفة منها:رجل الأندلس وناشبتهم المعودين منازلة الحصون و المثاغرة بالرباط،و رجل البدو ،وفرق الرماة ،وفرق الرجال الرامحة، والفرسان، كذلك كانت هناك فرق أندلسية تعمل في المغرب عرفت باسم "رجل الأندلسيين". [36] وصنف ابن الهذيل الجيش إلى: الجريدة وهي التي تجرد الوجوه، والسرية وهي من خمسين إلى أربعمائة، ثم الكتيبة وهي من خمسمائة إلى ألف، ثم الجيش وهو من ألف إلى أربعة آلاف، وكذا الفيلق و الجحفل، والخميس وهو من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألف و العسكر يجمعهما. [37] ويجعل على رأس كل ثمانية من الجند ناظراً ويعقد له عقدة ،وعلى كل خمسة نظّار عريفاً و يعقد له بنداً وعلى كلّ خمسة عرفاء نقيباً ويعقد له لواء وعلى كلّ خمسة قواد أميراً ويعقد له رايةً إن كثر الجند. [38]

3-إدارة الجيش:

كان لزاماً على أي دولة ما وأثناء بناءها لجيشها، أن توفر له ديواناً خاصاً به يحفظ حقوقه وواجباته لتحفظ النظام و بالتالي يظهر الاستقرار، ودولة بني الأحمر كغيرها من الدول قد أنشأت ديوانا خاصاً بهذه الفئة الفاعلة في الدولة و ضمنت لهم أرزاقهم من رواتب وعطايا فالجند هم عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحوزة ،والدافعون عن العورة، وهم جنن الثغور وحرّاس الأرض والعدّة للحوادث وأمداد المسلمين والحدّ الذي يلقى العدو، والشوكة عليه والسهم الذي يرمي به،والسلاح المدفوع في نحره و بهم يُذب عن الحريم و يؤمن السبيل و تُسدّ الثغور[39] وقد اهتم السلطان محمد الخامس بمرتبات الجند فيذكر في إحدى رسائله "و أوسعنا مدونة الجيش عرضاً و قرضنا إنصافه مع الأهلة فرضاً "،كذلك يذكر ابن الخطيب عن الجنود المقيمين على الحدود أن من بها من الحماة و ذوي المرتبات قد اختلت أحوالهم بسبب ما تأخر من واجبهم ،ثم تعذر في هذه المدة الطويلة من مرتباتهم. [40] ولعل ما حدث في آخر أيام مملكة غرناطة حين تناقص عدد الجيش بسبب انغماس الأمير "أبي الحسن" في الملذات وتعاقسه في أداء مستحقات الجند وقطع الإحسان عليهم حتى باعوا ثيابهم و خيلهم و آلة حربهم وأكلوا أثمانها ،هذا وإن دلّ على سوء التسيير وتعجيل دفع الدولة إلى هوّة السقوط [41] وكانت مرتبات الجند تدفع مقدماً بالذهب و تختلف بحسب الرتبة[42] ولعل شيوخ الغزاة نالوا الحظوة لدى سلاطين بني الأحمر لمكانتهم المرموقة فكان لهم جزء كبير من الضرائب [43] وفي عهد محمد الخامس زيدت مرتبات الجنود الزناتيين وكانت تدفع مقدماً كما زيد لهم نصيب من الغنائم. [44] فتلك الأرزاق التي كانت ترتب للجند معلومة لكل طائفة على قدر الكفاية لا يطمع أحد منهم أن يزداد فيها فلس فما فوقه، فمن أبلى منهم

وأراد الأمير أو الإمام الإحسان إليه وصله صلة غير مرتبة، لأنه إن تعدّى هذا العمل انفتحت له أبواب الطمع [45] وللإمام إعطاء جنده من بيت المال على ما يراه من النظر، و يحسب ما عند الرجل من المنة و الغناء و الإبلاء . [46] وقد جاءت في فتوى عن مسألة أثيرت حول أخذ الغازي المال من الناس دون بيت مال المسلمين،فابن الحسيب ردّ عليها بوجوب أخذ المال و إنفاقه على نفسه،في حين ذكر ابن يونس أن الغازي يأخذ المال ما لم يكن يأخذ أجرةً من بيت مال المسلمين. [47] وكانت قوات الجند تخضع لرقابة صارمة من ولاة الثغور ،وكل جندي يتهم بالإهمال في رعاية حصانة أو صيانة سلاحه كان يحرم من راتبه ،و على العكس كان يكافأ كل جندي يظهر إهتماماً بمطيته أو معداته. [48] وكذا الجواسيس كانوا يُمنحون المكافآت على ما ينقلونه من معلومات و يعفون من الضرائب. [49] والأدلاء كانت تصرف لهم أيضاً المكافآت المجزية [50]

خاتمة:

اهتمت دولة بني الأحمر بغرناطة كغيرها من الدول بجهاز الجيش باعتباره ركيزتها ومصدر أمانها وحصانتها من جيرانها الأعداء المحيطين بها من مملكة قشتالة و الأرغون، ومما دعم من قوة الجيش تلك التشكيلة المختلفة التي ضمت على غرار الفرسان الأندلسيين البربر والمماليك والأغزاز والمتطوعة وغيرهم الذين رفعوا راية الجهاد ليس فقط في مملكة غرناطة بل منذ الأزمنة القديمة قدموا خدماتهم إلى جانب الجيوش الأندلسية، وأهم تلك الفرق نذكر أصهار بني الأحمر أبناء أشقيلولة الذين شكلوا الدعامة الأولى في الجيش منذ عهد السلطان محمد الغالب بالله قبل دخوله إلى غرناطة، وأعلنوا جهادهم واستطاعوا أن يتصدوا للنصارى في العديد من المعارك، ثم ظهرت فرقة من المغاربة أبناء عموم الأسرة الحاكمة من بني مرين والذين

دخلوا معهم في نزاع حول السلطة فارتأوا التخلص منهم عبر إرسالهم للجهـــاد في الأنـــدلس فدخلوا غرناطة و انظموا للجيش الغرناطي كنواة أساسية وعُرفوا ب "شيوخ الغزاة" ولأنهـــم عُرفوا بحنكتهم الحربية ودرايتهم في أمور الحرب فإن السلاطين أغـــدقوا علـــيهم بالرواتـــب والمكافآت ولولا تدخلهم في أمور الدولة وعصيانهم لما أزاحهم السلطان الغني بـــالله و ألغـــى منصبهم، بالإضافة إلى عناصر أجنبية مقاتلة من مماليك وهم حراس القصر والسلاطين من أصل مسيحي،وجواسيس وهم عيون مترصدة من أصل نصراني أو يهودي بثت للحصـــول علـــى معلومات العدو،ثم الأغزاز والذين هم مرافقوا الجيوش أيضاً، وقد رافقت فئة الشعراء و الوعاظ والخطباء الجيوش لبث الحماسة في نفوسهم و تشجيعهم على الجهاد ،بالإضافة إلى المتطوعين و النجارين والحدادين والأطباء. وقد قسم الجيش النصري إلى مجموعات لكل ثمانية جنود نـــاظر وعلى كل خمسة نظار عريف،وعلى كل خمسة عرفاء نقيب،وعلى كل خمسة نقباء قائد وعلى كل خمسة قواد أمير.منظمين خاضعين للأوامر، وقد أنشأ النصريين ديواناً خاصاً بالجند يهـــتم بحقوقهم وواجباتهم من رواتب حسب الرتب وعطايا و تقسيم للغنائم وكانت تصـــرف لهـــم مكافئات مقابل بطولاتهم، وكانت رواتبهم تدفع لهم مقدماً بالذهب وفي عهد محمد الخـــامس أنشأ ديواناً عسكرياً خاصاً و قام بزيادة مرتباتهم في حين أن من واجبهم التحلـــي بالصـــبر و الالتزام بالأوامر و تأدية واجب الجهاد على أتم وجه.

الهوامش:

[1] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي للنشر،ط4،1997م القاهرة،ص 40

[2] عبد الرحمن ابن خلدون،العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،المجلد السابع، ضبط المتن و الحواشي و الفهارس:خليل شحادة، مراجعة :سهيل زكار، دار الفكر، 2000م، بيروت لبنان،ص 262

[3] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثالث، حقق نصه ووضع مقدمته و حواشيه: محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي،ط 1،1975م،ا لقاهرة،ص 386وما يليها.

[4] جاسم الطيف جاسم،قتيبة محمود جميل، بني أشقيلولة و دورهم السياسي في مملكة غرناطة(635-701ه/1238-1301م)،مجلة الملوية للدراسات الآثارية و التاريخية،المجلد الثالث،العدد الخامس،2016م،العراق،ص 247

[5] لسان الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان،(العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري)تحقيق:محمد كمال شبانة ،حسن محمود،دار الكاتب العربي للطباعة و النشر،القاهرة ،1966م،ص 17

[6] هلال فؤاد،خطة مشيخة الغزاة،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة،2009م،ص 54

[7] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر،دار الجبل ،ط1،1993م،بيروت،ص 88

[8] لسان الدين ابن الخطيب ، تاريخ إسبانيا الإسلامية (كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)،تحقيق:ليفي بروفنسال،م كتبة الثقافة الدينية،ط1،2004م،القاهرة،ص 287

[9] حسن الوزان،وصف إفريقيا، تحقيق:محمد حجي،محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،ط2،1983م،بيروت،ص 322

[10]أحمد محمد الطوخي ، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر،تقديم:أحمد مختار العبادي،مؤسسة شباب الجامعة،1997م، الإسكندرية.ص 136

[11] لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية،دراسة و تحقيق:محمد مسعود جبران،دار المدار الإسلامي،ط1 ،2000م، بيروت–لبنان.ص 36

[12]يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 41

[13] أحمد محمد الطوخي ،المرجع السابق،ص 230

[14] إبراهيم الرباش بن أحمد غانم بن محمد،العز و المنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب و المدافع،المكتبة الوطنية الجزائر،رقم 1511.

[15] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الثاني، حققه ووضع مقدمته و حواشيه،محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي،ط1، القاهرة ،1974م.ص 16–17

[16]لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، المصدر السابق ،ص 64

[17]. يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 73-74

[18] أحمد محمد الطوخي ،المرجع السابق ص 221

[19] لسان الدين ابن الخطيب ،اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص 64

[20]هلال فؤاد، المرجع السابق، ص 54

[21] طه عبد المقصود عبد الحميد عُبية،موجز تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة،كلية دار العلوم ،القاهرة ،د.س ،ص 173

[22] عبد الرحمن بن خلدون، العبر المجلد 7، المصدر السابق ص: 487-488.

[23]لسان الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، المصدر السابق، ص 23-24

[24] أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس،دار منشأة المعارف، ط1،2000م،الإسكندرية،ص 235.

[25] يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص 89

[26] أحمد مختار العبادي ،المرجع السابق،ص 236

[27] شكري فرحات، المرجع السابق، ص 77

[28] علي بن عبد الرحمن ابن هذيل الأندلسي،تحفة الأنفس و شعار سكان الأندلس،تحقيق:عبد الإله أحمد نبهان،محمد فاتح صالح زعل،مركز زايد للتراث و التوزيع،ط1،2004م،أبو ظبي،ص 128

[29] الهرثمي صاحب المأمون،مختصر سياسة الحروب،تحقيق:عبد الرءوف عون، مراجعة:محمد مصطفى زيادة،المؤسسة المصرية العامة،د.س،مصر،ص 23-24

[30] أحمد محمد الطوخي ، المرجع السابق، ص221

[31] شكري فرحات، المرجع السابق، ص77

[32] أحمد محمد الطوخي ،المرجع السابق، ص 221

[33] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي ، المصدر السابق، ص 128

[34] شكري فرحات، المرجع السابق، ص 76

[35] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي ،المصدر السابق، ص 130

[36] أحمد محمد الطوخي ،المرجع السابق ،ص 223

[37] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي ، المصدر السابق،ص 273

[38] نفسه، ص 129

[39] نفسه،ص 304

[40] أحمد محمد الطوخي ،المرجع السابق،ص 223

[41] مجهول،نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر،ضبطه و علق عليه:الفريد البستاني،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،2002م،مصر،ص 6

[42] نفسه، ص 223

[43] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر المجلد السابع، المصدر السابق، ص 377

[44] أحمد محمد الطوخي ،المرجع السابق،ص 223

[45] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي ، المصدر السابق،ص 128

[46] نفسه، ص 305

[47] أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن محمد ابن لب الغرناطي،ينبوع العين الثرة في تفريع مسألة الإمامة بالأجرة ،دراسة و تحقيق:قطب الريسوني ،دار ابن حزم،ط1،2005م ،بيروت لبنان.

[48] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي،المصدر السابق،ص 128

[49] شكري فرحات، المرجع السابق، ص 77

[50] علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي ، المصدر السابق،ص 128

البيبليوغرافيا:

أ–قائمة المصادر:

1– لسان الدين ابن الخطيب ،تاريخ إسبانيا الإسلامية (كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)،تحقيق:ليفي بروفنسال،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،،القاهرة،2004م.

2– ------ ،كناسة الدكان بعد انتقال السكان(العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب –القرن الثامن الهجري)،تحقيق:محمد كمال شبانة،مراجعة:حسن محمود،دار الكاتب العربي،القاهرة،1966م.

3– الإحاطة في أخبار غرناطة ،حقق نصه و وضع مقدمته و حواشيه،محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي القاهرة،ط1،1974م

4– ------، اللمحة البدرية في الدولة النصرية،دراسة وتحقيق:محمد مسعود جبران،دار المدار الإسلامي،ليبيا،ط1،2009م.

5- ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي و الفهارس:خليل شحادة ،سهيل زكار،دار الفكر ،،بيروت لبنان، 2000م

6- ابن زكريا الأندلسي بن محمد إبراهيم الرباش بن أحمد غانم ،العز و المنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب و المدافع، مخطوطة مصورة بالمكتبة الوطنية الجزائر،رقم 1511.

7-ابن لب أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن محمد الغرناطي،ينبوع العين الثرة في تفريع مسألة الإمامة بالأجرة ،دراسة و تحقيق: قطب الريسوني ،دار ابن حزم،ط1،بيروت لبنان،2005م.

8- ابن هذيل علي بن عبد الرحمن الأندلسي،تحفة الأنفس و شعار سكان الأندلس،تحقيق:عبد الإله أحمد نبهان،محمد فاتح صالح زعل، مركز زايد للتراث و التوزيع،ط1،أبو ظبي،2004م.

9- الوزان حسن ،وصف إفريقيا، تحقيق:محمد حجي، محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،ط2 ،بيروت،1983م.

10- الهرثمي صاحب المأمون،مختصر سياسة الحروب، تحقيق:عبد الرءوف عون، مراجعة:محمد مصطفى زيادة،المؤسسة المصرية العامة ،مصر،د.س.

11- مجهول،نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر،ضبطه و علق عليه:الفريد البستاني،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،مصر،2002م.

ب/ قائمة المراجع:

1- الطوخي أحمد محمد ،مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر،تقديم:أحمد مختار العبادي،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،1997م.

2- العبادي أحمد مختار ،صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس،دار المعارف، ،ط1 ،الإسكندرية،2000 م

3- عُبية طه عبد المقصود عبد الحميد ،موجز تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة،كلية دار العلوم ،القاهرة ،د.س.

4- عنان محمد عبد الله ،دولة الإسلام في الأندلس،مكتبة الخانجي للنشر،ط4،القاهرة،1997م.

5- فرحات يوسف شكري ،غرناطة في ظل بني الأحمر،دار الجبل ،ط1،،بيروت،1993م,

ج-الأطروحات الجامعية:

– هلال فؤاد،خطة مشيخة الغزاة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة،2009م.

د–الدوريات:

– جاسم الطيف جاسم، قتيبة محمود جميل،بني أشقيلولة و دورهم السياسي في مملكة غرناطة(635-701ه/1238-1301م)،مجلة الملوية للدراسات الآثارية و التاريخية،المجلد الثالث،العدد الخامس، العراق 2016م